



فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتوبون أحسنه أولئك الذين هداهم

الله وأولئك هم أولو الألباب

المحكمة

يؤتى المحكمة من يشاء ومن يؤتى
المحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أوّل الألباب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام : إن الإسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر يوم الأربعاء غرة صفر سنة ١٣٢١ - ٣ مايو (نيسان) سنة ١٩٠٣)

المكرامات والخوارق

(المقالة التاسعة فيما ينبغي عليه التمويل)

علم مما تقدم ان الامور الغريبة التي تسمى خوارق عادات ومعجائب منقولة عن جميع الامم فهي واقعة حقا ومنقولة بالتواتر اللفظي وبالتواتر المعنوي وان ادعاهما كثيرون من الناس كذبا وتملأوا للاشتمار بها تملا . ثم ان هذه الامور على ضربين - ضرب عرف عن أهله أنه صناعي يتوصل اليه بالعلم والعمل كالسحر والشعوذة فهو من الخوارق بالنسبة الى الذين لا يعرفون طريقه ولم يقفوا على علاه قال الله تعالى « يعلمون الناس السحر » وقال عز وجل « يخيل اليه من سحرهم أنها تسمى » أي والحقيقة خلاف ذلك التخيل وقال « سحروا عين الناس واسترهبوهم » وقال حكاية عن فرعون « إنه لكبيركم الذي علمكم السحر » . وضرب عرف عن أهله أنه ليس له طريق صناعي يوصل اليه العلم وإنما هو وراء الأسباب والثابت القطعي من هذا القسم آيات الانبياء عليهم الصلاة والسلام وتقدم الكلام عليها في المقالة الأولى وفي الامالي الدينية . ومنه ما يدعيه أو يدعي لكبار رجال الدين من أهل الملل والكلام فيه والمقصود منه بالذات ما عندنا معشر المسلمين

وقد ذكرنا حجج مثبتة الكرامات وحجج منكريها وأوردنا مارواه
المثبتون من الكرامات المأثورة عن الصحابة والتابعين وبيننا ما صح منها
وما لم يصح فليراجع كله في المجلد الثاني من المنار . وإننا نتم القول في
مبحث الكرامات بمسائل أكثرها مستفاد من المقالات السابقة وهذه
المسائل هي خلاصة رأينا في الموضوع فمن أنكر علينا منها شيئاً فليكتب
الينا مدلياً بحجته وزمده بأننا ننشر ما يكتب بمعناه أو بلفظه إذا كان صحيحاً
ومختصراً وغير خارج عن محل النزاع استطراداً الى مسائل أخرى . فان
كانت الحجة ناهضة سلمنا وان كانت داحضة بينا . ولا ينبغي لأحد أن
يرد علينا في الموضوع الا بعد الاطلاع على المقالات التسع لتلايحت في
شيء سبق بيانه فيهمل كلامه

(المسألة الاولى) إن الاصل في كل ما يحدث في الكون أن يكون له
سبب وأن يجري على سنة من سنن الله تعالى في الخلق وهذه الاسباب مطردة
متى تمت شروطها (كما قال الغزالي) وتلك السنن ثابتة لا تبدل ولا تتحول
كما علم بالمشاهدة والاختبار ونص القرآن فهي مـآلة اتفق فيها الحس
والعقل مع نصوص الشرع فهي قطعية

(المسألة الثانية) إن من قضايا العقول ، التي نصها علماء الاصول ، أن
الظن الراجح لا يارض العلم اليقين وأيد هذا القرآن أيضاً بمثل قوله تعالى
« إن يتبعون الا الظن . وان الظن لا يغني من الحق شيئاً » وقوله عز وجل
« وما لهم بذلك من علم إن هم الا يظنون » وغير ذلك من الآيات الواردة
في إبطال عقائد أهل الزيغ والجحود .

(المسألة الثالثة) اجمع العلماء من الاصوليين والمحدثين على أن روايات

الآحاد المدول الثقات كالصحابه وإئمة التابعين المعروفين ومن عرف بالصدق وحسن السيرة مثلهم لا يقيد أكثر من الظن وأجموعاً على أنه إذا روي عنهم ما يخالف المقول القطعي والمقول القطعي كنس القرآن فإنه لا يتبدل رواية ولا يدول عليها إلا أن يوفق بينها وبين القطعي منقولا كان أو منقولا فقط (المسألة الرابعة) ان العجائب والحوارق قد نقات عن جميع الأمم فليس من الصواب المناضل بينها وادعاء أن بعضها على حق وبعضها على باطل بسبب ذلك وإنما يجب تمحيص القول وتحريرها فان الناس مولعون أشد الولع بالفرائب ، وأكثر ما يتحدثون به منها كاذب ،

(المسألة الخامسة) يجب تمحيص النقل والرواية يجب تمحيص المروي المقول من الفرائب ليعلم أنه واقع حقيقة ولم يكن تخيلاً للانظار ، أو خداعاً للأبصار أو الأفكار ،

(المسألة السادسة) قد كشف العلم أسباباً لأشور كثيرة كانت تسمى حوارق وكرامات فإذا علم بعد تمحيص الرواية والمروي أن شيئاً من هذه الفرائب وقع لا محالة فينبغي للروح لا التماس الأسباب من مظاهرها في العلم الطبيعي وعلم النفس فإن لم يظهر له سبب يحمل عليه ، ولا وجه يمكن أن يؤل إليه فهو الذي يصح أن يسمى خارقة أو أعجوبة والنظر فيه من وجهين - خال من ظهر على يده وإمكان قياسه على غيره

(المسألة السابعة) اثبوت الخارقة على ما ذكر طريقان الحس السليم والتواتر الصحيح وكلاهما عسر جداً لأن الحواس تُخدع حتى تكذب صاحبها فيما ترى وتسمع ، وأمر التواتر أبعث في العسر وصعوبة التحقق فإن من شرطه ان ينتهي الى حيز محقق باليقين وقد علمت ان الحس يخدع في هذا المقام .

ومنها أن يكون الناقلون لذلك الخبر المحسوس جمعاً يستحيل في العقل السليم
تواطؤهم على الكذب واتخاذهم بما أدركوه بحسبهم وأن ينقل عنهم مثلهم في
كل طبقة من الطبقات، وإنك ترى أكثر الناس يسمون الأئمة والمشهورين بينهم
متواترة لاسيما إذا كثرت حديث الناس بها فإذا استقرت حلقات سلاسل
الروايات وجدتها كلها ملقاة في آخرها بحلقة واحدة أو حلقتين أو ثلاث مثلاً .
وما انتهى الى واحد أو أحاد فهو خبر يحتمل الصدق والكذب لذاته وربما
رجحت الكذب في أكثر الفرائب المشهورة التي يسبونها متواترة . الحق ان
الانسان متهم طبعاً بإداعة كل غريب لاسيما إذا صادف هوى في النفس
أو طابقت التقاليد والاعتقادات المسلمة . فالحمد لله الذي جعل آية نبينا بينة قائمة
على وجه لدهر محفوظة من المعارضة والنقض ، مادامت السموات والارض ،
(المسألة الثامنة) إنك إذا بحثت في حال الذين يدعون الحوارق تجدهم
طلاب مال وطلاب جاه وأهم يقصدون بما يأتون استرهاب الناس بما
يؤمنونهم من قدرتهم على إيذائهم متى شاؤا أو تعليق آمالهم بهم وإيهامهم
ان بأيديهم مناليد الرزق ومفاتيح الخير أو الجمع بين الامرين حتى إنهم
جعلوا ارادة الله تالفة لإرادتهم كما قالوا في الكلمة المأثورة عن الربانيين
منهم وهي : « ان لله عباد ، اذا أرادوا أراد » (هكذا يقولونها بالوقف على
العباد على لغة ربيعة) وينقلون عنهم من مثل هذه الجرأة على الله تعالى كلمات
كبيرة وأشعار أو أغاني تختلب قلوب المامة . وفي كتب النائد التي تقرأ في
الازهر وغيره من المدارس الدينية (كحواشي الباجوري على الجوهرية
والسنوسية) ان حوارق العادات تظهر على أيدي جميع اصناف الناس حتى
الكفار والفساق وتسمى اذا صدرت من هؤلاء على نحو ما يجبون استدراجا

لأنها تفرم بما هم فيه من الباطل فيسترسلون فيه - حتى لا مطمع في هدايتهم
 وإذا ظهرت على يد مستور الحال تسمى مموونة . ويخصون اسم الكرامة
 بالخارقة التي تكون للمتسكك بالشريعة اعتماداً أو تخلقاً وعمالاً في الظاهر والباطن .
 وإننا نقول لمن يأخذون أتوال هؤلاء العلماء بالتسليم: إذا كانت الحوارق تقع
 على أيدي جميع طبقات الناس فلا يجوز الاستدلال بها على أن من تظهر على
 يديه حق في اعتقاده أو مرضي عند ربه وناي عرف ولي الله تعالى والصالح من
 عباده بأمر واحد وهو مطابقة اعتقاده للسنن المؤيد بالبراهين الصحيحة
 وموافقته في أخلاقه وسجاياه وأعماله السرية والجهرية لما أرشد إليه الدين
 والعقل من الفضائل والمنافع العامة والخاصة بقدر الاستطاعة . ونحن نرى العامة
 يبحزون لمن يجري عليه يديه شيء من الغرائب جميع المنكرات فهم يحكمون
 حوارقه في حاله من الاعتقاد والعمل ، والعلماء يحكمون حاله في حواره . فقد
 تناقض اعتقاد المامة مع اعتقاد العلماء . ولا نرى أحداً منهم ينكر على الآخر
 ولا يجذب به إليه لأن حرية الإسلام قد انقلبت إلى فوضى بعد ذهاب منصب
 الخلافة وتولية الجاهلين بالدين أمور المسلمين

(المسألة التاسعة) من رأى بيمينه خارقة للمادة أو نقلت إليه بطريقة
 التواتر الصحيح وعرف أنها لم تكن خداعاً ولا تخبيلاً وعلم أن من ظهرت
 على يديه ليس من أهل التلبيس والشعوذة ولا من طلاب المال والجاه
 واستمالة القلوب إلى الاعتقاد به وصب عليه أن يحملها على وجه من وجوه
 التأويل الآتية فإن له أن يقيسها على ما عرف تأويله بأن يقول: إن كثير من
 الغرائب وحوارق العادات المألوفة قد كان يظن أنها خارجة عن نظام الخليقة
 وسنن الكون ومنتشرة من سمط الأسباب التي تلتزم بها المسببات ثم ظهر

أنهم لم تكن شاذة عن تلك السنن الإلهية ، ولا ناذة من دائرة الاسباب الكونية ؛ وهذا الذي أراه الآن ، هو مثل تلك في ذاك الزمان ، فيجوز أن يظهر له مثل ما ظهر لها من السبب ، وتزول الغرابة ويبطل العجب ، وهذا الرأي هو الذي عليه جميع العقلاء والحكماء في هذا العصر وإنتهم ليتوقعون ظهور علل جميع الفسائب التي حدثت في العالم حتى معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام

(المسألة العاشرة) اذا فرضنا أن العلم اظهر لما يؤثر من المعجزات عللا روحانية وأسبابا خفية فلا يهمن واهم ان ذلك قدح في النبوة او ظهور لبطلانها . كلا إنه إن تحقق فلا يبعد ان يكون تحققة مظهر الحقيقة النبوة كأن يتبين ان الارواح العالية تتصل بالعالم الأعلى وتستمد من عالمه النقي يسمى الملائكة قوة العلم والهداية وقوة الاعمال الغريبة كإحياء الموتى وقاب العصا حية . فان لم يتبين به صدقها فلا وجه لظهور عدمه لأن الانبياء عليهم الصلاة والسلام ما كانوا يدعون أن الآيات التي يؤيدهم الله تعالى بها خارجة من سننه الظاهرة والخفية وما كانوا يدعون ان لهم سلطانا في ملك الله تعالى يتصرفون فيه بمشيئتهم وإرادتهم متى شاؤا وكيفما شاؤا وإنما كانوا يتبرؤن من حولهم وقوتهم ويسندون ما يؤيدهم الله سبحانه به اليه ويقولون انه واقع بإذنه وقد كان اعتمادهم في دعوتهم الى الله على البرهان وكانوا لا يعطون الآيات الا بعد معاندة ومجاهدة من قومهم وإخاح في طلب آية لا يعرف مثلها عن البشر في افهامهم السببية وكان الله تعالى يقيم عليهم الحاجة التي يطلبونها ولم تكن هي المدة في إثبات الدعوة الى الله وبيان وحدانيته وقدرته وعلوه ووجوهه « ألم يأتكم نبياً الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم جاءتهم

رسلمهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لنفي شك مما تدعوننا إليه مريب * قالت رسولهم اني الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى قالوا ان انتم الا بشر مثنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فاتونا بسطان ميين .

قالت لهم رسولهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا ان ناتيكم بسطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون .

فهذه هي سنة الله في الانبياء والامم - يدعو النبي قومه الى الله بالبينه وهي كل ما يتبين به الحق من برهان عقلي ودليل إقناعي فيطلبون منه آية كونه فيتبرأ من حوله وقوته الى حول الله وقوته فيعطيه آية يخوفهم بها فيخضع له المستعد لقبول ذلك ويماند الآخرون فتحقق عليهم كلمة العذاب . قال تعالى « وما نرسل بالآيات الا تخويفاً . فاذا فرضنا ان العلم أظهر سبباً معقولاً لآيات موسى عليه السلام فهل ينافي ذلك انها كان تخويفاً تفرعون وقومه وجاذبه لبني اسرائيل الى طاعة موسى بالارهاب اللائق بامثالهم في بلادهم وجنوتهم؟

نعم ان ما يتوقع كشفه بالعلم سيكون القاضي على بقايا دين لا يحتاج على صحته الا بالمجائب وليس لأصحابه برهان على عقائدهم، ولا سند متواتر في صحة كتابهم، اولئك الذين يعقون في كل بلاد اسلامية: ان القرآن لم يثبت لحمد (عليه افضل الصلاة والسلام) المجائب والحوارق فهو ليس بنبي ودعوته ليست صحيحة: فالعلم الايحي والشرائع الدينية والمدنية والحرية والسياسية وتكوين الامم وتربيتها من رجل أي ربى يتما في جاهلية جهلاء وأمة أمية لا يرونها تأييداً إليها، وبرهاناً على صدقه قطعياً، وانما البرهان عندهم تلك الحكايات التي ينقلونها في عجائب مقدسيهم وينقل الوثنيون عن كتبهم أعظم منها

(المسألة الحادية عشرة) يؤيد ما ذكرناه في معنى آيات الانبياء وكونها لم تكن براهين لإثبات الدين ماجاء في الباب الثالث عشر من تثنية الاشتراع آخر أسفار التوراة التي بين أيدي اليهود والنصارى وهو (١) إذا قام في وسطك نبي أو حالم حلما وأعطاك آية أو أعجوبة ٢ ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التي كلمك عنها قاتلا لنذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها ونعبدها ٣ فلا تسمع لكلام ذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم لان الرب إلهكم يمتحنكم لكي يعلم هل تحبون الرب من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم « وما جاء في الباب السابع من انجيل متى وهو : « كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يارب يارب أليس باسمك تدبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة ٢٣ فحينئذ أصرح لهم اني لم أعرفكم قط اذهبوا عني يا فاعلي الإثم » وفي الباب ٢٤ منه « لانه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات عظيمة ومعجائب حتى يضالوا لو أمكن المختارين ايضا » فعلم من هذا ان اليهود والنصارى يجب ان يوافقوا علماء الكلام من المسلمين على ان الحوارق الكونية ليست دلائل برهانية قطعية على اصول الدين وعقائده وصدق دعائه كما أوضحنا ذلك في الدرسين ٢٩ و٣٠ من الامالي الدينية (راجع ص ٣٧١ و٣٧٨ م ٤) وقد اختلف المتكلمون في دلالة المعجزة على النبوة هل هي عادة او عقلية او وضعية وقد رجح الأخير بناء على انها بمعنى تصديق الله لهم بالقول (المسألة الثانية عشرة) سبق في المقالات الاولى أن أصحابنا فرقوا بين معجزة النبي وكرامة الولي بان الاولى لا بد أن تكون مقرونة بدعوى النبوة وطلب الممارسة الذي يسمونه التحدي والثانية لا تكون كذلك وبأن الاولى يجب اظهارها لإقامة الحجة ، والثانية يجب اخفاؤها خوفاً للفتنة،

وزاد بعضهم كالتشيري من أئمة الصوفية والسبكي في الطبقات الكبرى أن الكرامة لا تبلغ مبلغ المعجزة كالحيا الموتى وإنما تكون فيما دون ذلك كشفاه مرض ومكاشنة خلافاً لتول المشهوره ما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي ، ولقائل أن يقول جمعاً بين القولين : إذا جاز ذلك في تصور العقل ، فإنه ما وقع ولا يقع بالفعل ،

(المسألة الثالثة عشرة) قال الشيخ محي الدين بن عربي أحد أئمة الصوفية ان خارق العادة لا يتكرر فان كل ما يتكرر يكون مقتداً سواء عرف سببه أو لم يعرف . وهذا القول معقول وهو يقضي القضاء المبرم على تلك الزخوف والخيالات من حكايات الكرامات التي يحارب بها العامة عقلاء الناس الذين لا يستخذون ويخنعون لا أولئك الجهال الذين يدعون الولاية بحجة أنهم في كل يوم يخبرون الناس بالمغيبات ويبرؤن المرضى من الأسقام بركاتهم ونحو ذلك . ويسمون هذا على تكراره كل يوم كرامة وما هو بكرامة وإنما بعضه كذب واختلاق وبعضه واقع بالأسباب التي سننبه عليها وإلكنه أسند الى غيرها أو ادعى فيه الكرامة (للمسائل بقية)

دعوى صاب المسيح

﴿باب شبهات النصارى وحجج المسلمين﴾

جاء في الجزء الاخير من الجريدة البروتستية نبتان في الطعن بالإسلام إحداها محاوراة في صلب المسيح ، والثانية طعن في القرآن وقيح ، وقد كانت هذه المجلة تطعن في الإسلام وكتابه ونبيه مع شيء من الأدب وزاها في هذه المدة هتكت ستار الأدب وتجاوزت حدوده مع أننا كنا نرجو ان تزيد في تحريه بعدما أسند تحريها الى نقولا أفندي روفائيل الذي نمرقه دمثاً لطيف النباهن ولكنها نشوة الحرية في مصر ، والشعور بضعف نفوس المسلمين في هذا القطر ، فعلا في نفوس هؤلاء الدعاة الى